قديم فى تاريخ الشعر العربى ، وأنه كان الفن الشعبى الذى عرفه المجتمع الجاهلى منذ عصور بعيدة ، والذى ترددت أنغامه على ألسنة الشعب العربى فى مجالات حياته اليومية المختلفة : فى حُداء الإبل ، وفى التلبية فى مواسم الحج، وفى أثناء القتال ، وفى الخصومات والمفاخرات القبلية ، وفى هدهدة الصغار، وفى حفر الآبار واستقاء المياه ونصب الخيام ، ونحو ذلك من الأعمال اليومية التى لا تنتهى. والنصوص التى وصلت إلينا منه تؤكد حقيقتين لاشك فيهما : تؤكد قدمه فى تاريخ الجزيرة العربية من ناحية ، وتؤكد ارتباطه بحياة الشعب العربى فى جوانبها المختلفة من ناحية أخرى . والحقيقة الثانية تبدو - حين نتأملها - تأكيدا للحقيقة الأولى، فارتباط الرجز بالحياة الشعبية فى شتى مجالاتها يؤكد قدمه فى حياة الشعب العربى ، وكل من تتبع حركة الرجز فى المجتمع الجاهلى يلاحظ أنه ارتبط بطائفة من الأعمال التى تشكل القاعدة الأساسية فى حياة القبائل اليومية كحداء الإبل ، ومتح الماء من الآبار ، ونصب الخيام وحفر الخنادق حولها كما ارتبط أيضاً بالحياة الدينية على نحو ما نرى فى تلبيات القبائل فى مواسم الحج المقدسة. ولو لا قضية اللغة و تاريخ ظهورها فى الجزيرة العربية ، وما يتصل به من ظهور الفصحى فى مرحلة متأخرة من تاريخها ، لاستحسنا لأنفسنا القول بأن الرجز ظهر منذ أن ظهرت الحياة فى هذه الجزيرة ، وهو قول قد يؤكد ما يذهب إليه بعض المستشرقين من أن هذا الوزن الشعرى عرفته الشعوب السامية الأخرى التى عاصرت العرب ، والتى ترجع جميعاً إلى أصل واحد .

ولكن المسألة هى : كيف ظهر الرجز فى اللغة العربية ؟ أو بعبارة أخرى - كيف اهتدى الشعب العربى إلى هذه الصورة من الفن الشعبى ؟ وهى مسألة ليس من اليسير أن ننتهى فيها إلى نتيجة حاسمة ، وإنما كل ما نستطيع أن ننتهى إليه مجموعة من الفروض لا تصل إلى درجة اليقين . ولعل أقرب هذه الفروض إلى الواقع أن الرجز نشأ متطوراً من « سجع الكهان » ،